



## السِّرُّ المكتوم منذ الدهور

بعدما عرضنا هذه المعلومات الإحصائية واللغوية، يمكننا أن ننتقل إلى تحليل أف ٣: ١-١٣. يأتي السِّرُّ في هذا المقطع الكتابي كمعرفة تنبثق عن الله وتشير دائماً إلى عمل يسوع المسيح وخصوصاً إلى آلامه وقيامته، كما يؤكد الكاتب نفسه في المقطع السابق وخصوصاً في أف ٢: ١٥-١٦. هذا السِّرُّ أُعدَّ قبل خلق العالم وبقي خفياً منذ بدء الدهور كما نقرأ في ٣: ٩: "وأنيير الجميع في ما هو شركة السِّرِّ المكتوم منذ الدهور في الله خالق الجميع بيسوع المسيح."<sup>٧</sup> في هذا الخصوص نجد طرحاً شبيهاً في ٤٨: ٦-٧ من كتاب أخنوخ الأثيوبي الذي ينتمي إلى الأدب الحكمي الرؤيوي اليهودي. يقول كتاب أخنوخ أن المختار يأتي بالأحكام التي أوكله الله بها لكشف سرِّ الحكمة الإلهية المعدَّ منذ ما قبل الخليقة<sup>٨</sup>: "لهذا صار (ابن الانسان)<sup>٩</sup> المختار، وذلك كان خفياً لديه قبل خلق العالم وحتى مجيء الدهر ولكن حكمة رب الأرواح كشفته للقديسين والأبرار."<sup>١٠</sup>

## السِّرُّ والمستمعون إليه

والسِّرُّ، بالعودة إلى القديس بولس، ليس سرّاً لأن الله أدركه في الخفيّ فحسب، بل أيضاً لأنه يحتوي على أمور لا تخطر على بال الشعب المؤمن القديم وهي أن السِّرَّ الإلهي تجسد وانتشر في العالم لخير جميع الأمم: "السِّرُّ الذي في أجيال أُخَر لم يُعرَّف به بنو البشر كما قد أُعلن الآن لرسله القديسين وأنبيائه بالروح: أن الأمم شركاء في الميراث والجسد ونوال مواعده في المسيح بالإنجيل" (أف ٣: ٥-٦). وإذا كانت المسكونة كلها شريكة في الميراث، فالسِّرُّ الإلهي صار يهَمُّ الخليقة بأسرها<sup>١١</sup>. بإعلان هذا السِّرِّ يفهم عمل الخلق وغايته، البداية والنهاية (كول ١: ١٥-٢٠). الحقيقة كلها تُقرأ بطريقة جديدة. لهذا تبلغ الأزمنة، في إعلان السِّرِّ الإلهي، نهايتها (أف ١: ١٠)، لتبدأ حقبة جديدة<sup>١٢</sup>.

## السِّرُّ وحامله

ثمة جانب أساسي للسِّرِّ بحسب القديس بولس وهو مشاركة الرسول في عمل الخلاص من خلال إعلان سرِّ المسيح للأمم. هذا ما يتطرق إليه واضح الرسالة في أف ٣: ٧-٨ و ٦: ١٩-٢٠ فيعتبر بولس "خادماً" للإنجيل الذي به يُعلن السِّرُّ و"مبشراً" بين الأمم بهذا السِّرِّ حتى يمتدَّ عمل المسيح الخلاصي بواسطة بولس، "السفير في السلاسل"، إلى كل البشر<sup>١٣</sup>. وفي أسفار الأدب الرؤيوي اليهودي نجد أيضاً أن حامل الإعلان يلعب دوراً جوهرياً

<sup>7</sup> راجع أيضاً رو ١٦: ٢٥؛ ١ كور ٢: ٨؛ كول ١: ٢٦.

<sup>8</sup> في خصوص انتظار المسيا في النصوص الرؤيوية الحكمية راجع أيضاً ١ أخن ٤٩: ٢-٣؛ ٥١: ٣؛ دا ٧: ١٣-١٤؛ قمران / نج ٩: ١١؛ رؤياس ٢٩-٣٠.

<sup>9</sup> راجع الآية ٢.

<sup>10</sup> يجدر الذكر أن كل الاستشهادات من كتابات اليهودية الأولى الواردة في هذه المقالة مأخوذة من ترجمة الأب بولس الفغالي في السلسلة "على هامش الكتاب" المنشورة في الرابطة الكتابية.

<sup>11</sup> راجع كول ١: ١٥-٢٠. لاحقاً يسمي كول ١: ٢٤-٢٩ عمل المسيح هذا "سر الله المعلن في قديسيه".

<sup>12</sup> نجد في الأدب الرؤيوي الحكمي المقاربة ذاتها لهذا الموضوع بحيث أن إعلان السِّرِّ حدث عالمي يخص البشرية كلها كما نقرأ في قمران / نج ٣: ١٥-١٧؛ ٤: ١٨-٢٣؛ عزرا ١٤: ٥؛ ١ أخن ٦١: ٥.

<sup>13</sup> أنظر مثلاً رو ١٦: ٢٥-٢٧؛ ١ كور ٢: ١؛ أف ٦: ١٩؛ كول ١: ٢٤-٢٩؛ تي ٣: ١٦.

وتأسيساً في مضمون السرّ وإعلانه. هذا ما نقرأه مثلاً في رؤيا باروك السريانية ٨١ : ٤ - ٨٢ : ١ حيث يؤكد الكاتب دوره كحامل السرّ الإلهي: "فصنع القدير بحسب كثرة رحمته، والعلّي بحسب عظمة حنانه. كشف لي كلمة كي أتعرّى... وعرفني أسرار الأزمنة... لهذا كتبتُ إليكم، يا إخوتي، كي تتعرّوا من وفرة الضيقات"<sup>١٤</sup>

### السرّ والحكمة الإلهية

من ميزات السرّ المهمة عند القديس بولس علاقته المباشرة بحكمة الله. بهذه الطريقة يقدم القديس بولس إلى المؤمنين نظرة جديدة إلى العالم لا علاقة لها بالهوى أو الظرف لأنها لا تصدر عن عقل بشري، بل تنبثق من الحكمة الأزلية السماوية التي أراد الله إعلانها الآن كما يقول في أف ٣ : ١٠-١١ : "لكي يعرف الآن عند الرؤساء والسلطين في السماويات بواسطة الكنيسة بحكمة الله المتنوعة حسب قصد الدهور الذي صنعه في المسيح يسوع ربنا."<sup>١٥</sup> يوضح الكاتب هنا أنّ تعليم الرسول ليس تغيير خطة في التدبير الإلهي بل إتماماً لإرادته، ويؤكد أنّ حكمة الله هذه لم ينلها الرسول عن طريق التنظير البشري بل عن طريق إعلان يسوع المسيح إلى عبيده الرسل وإلى كل الكنيسة. وأخيراً يجدر الذكر أنّ السرّ المعلن بالتبشير لا يعطي للمؤمن حكمةً من أجل القدوم إلى الرب فحسب، بل يعطي أيضاً حكمةً بالمعنى العملي للكلمة، أي طريقة جديدة للعيش لكي يعرف المؤمن أنّ لا يكلّ في الشدائد ويظهر كاملاً أمام المسيح حين يأتي (أف ٣ : ١٢-١٣)<sup>١٦</sup> وفي الأدب الرؤيوي الحكمي نجد أيضاً مبدأ العلاقة بين السرّ والحكمة، كما يقول، على سبيل المثال، سفر أخنوخ الأول ٥١ : ٣ : "في ذلك الوقت يجلس المختار على عرش الله، فقمه تعلن كل أسرار الحكمة لأنّ رب الأرواح أعطاه إياها ومجّده."<sup>١٧</sup>

### خاتمة

يعلن بولس الرسول في أفسس السرّ المسيحاني إلى كل الأمم بناءً على أقوال يسوع المسيح وأعماله وتلبيةً لرجاء الشعب المنتظر والمؤمن بكلام الأنبياء الأبرار. وفي قلب هذا السرّ نجد الصليب الذي به فتح الله وعده بالخلاص إلى كل والأمم ووحدهم في إنسان جديد لا يعرف غريباً ولا عدواً بل يعيش بالسلام مع القريب (أف ٢ : ١١-١٦). لم يكن أحد يعرف هذا السرّ. حتى الشعب المؤمن في العهد القديم الذي كان يعرف محبة الله ورحمته وكان ينتظر أعمال الله الخارقة، لم يعرف مدى تأثير هذا السرّ. الله وحده يعرفه بحكمته منذ الدهور وقرّر كشفه للبشر بواسطة المسيح وخذامه الرسل. الآن الكلّ مدعو إلى الخلاص والسرّ يُعطى لمن ينتظره بقناعة وإيمان.

<sup>١٤</sup> راجع أيضاً قمران/فحب ٧ : ١-١٧ ؛ دا ١٢ : ٤ . ١٣-٨ .

<sup>١٥</sup> راجع أيضاً رو ١٦ : ٢٥-٢٧ ؛ ١ كور ٢ : ٦-٩ ؛ كول ١ : ٢٤-٢٩ .

<sup>١٦</sup> ثمة نصوص أخرى مهمة تربط الحكمة بالسرّ وهي رو ١١ : ٢٥-٣٦ ؛ أف ١ : ٧-١٢ ؛ كول ١ : ٣-٤ ؛ ٢ : ٥-٢ .

<sup>١٧</sup> راجع أيضاً قمران/نج ٤ : ١٨ .